

أعلام السلفية (2)

العلامة تقي الدين الهلالي

إضاءات على جهوده في نشر التوحيد

إعداد: عبدالغني محمد المؤذن
باحث في مركز سلف للبحوث والدراسات



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، فقد أثنى الله عز وجل على العلماء في مواضعَ من كتابه العزيز ورفع شأنهم، كما في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. وأثنى عليهم رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في أحاديث، وبين مكانتهم وفضلهم، قال ﷺ: «...وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...»[1]. وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[2].

والعلماء لهم دور كبير في إصلاح الفرد والمجتمع، يأمرون بالخير، وينهون عن الشر، وينبهون الناس إلى السنة، ويحاربون البدعة، ويقيمون التوحيد، وينبذون الشرك، وينشرون العلم، ويحاربون الجهل. قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويَبَصِرُّون من هم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبَصرُّون بنور الله العُمْيَ، فكم من قتيل لإبليس أحيوه؟! وكم من ضال تائه قد هدوه؟! فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم"[3].

ومن هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين نفعوا البلاد والعباد: الشيخ تقي الدين الهلالي -رحمه الله- وسنسلط الضوء في هذه الورقات على جوانبَ من حياته، مُبْرزين بعضًا من مواقفه في نشر التوحيد وعقيدة السلف الصالح، ومحاربته للخرافات الشركية والبدعية، وكان من حق الشيخ أن تكتب عن حياته ودعوته رسائل جامعية تبرز جهوده في خدمة الإسلام والدعوة إلى الله تعالى، ولا أعلم -فيما اطلعت عليه- رسالة كتبت عنه رحمه الله.

نبذة عن حياته:

---

[1] رواه مسلم (٢٦٩٩) وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

[3] الرد على الزنادقة والجهمية (ص ٦).

هو العلامة الدكتور محمد تقي الدين ابن عبدالقادر بن الطيب الهلالي الحسيني المغربي، كنيته أبو شكيب، محدث وفقيه ولغوي وأديب وشاعر ورحالة سلفي مغربي. ولد سنة ١٣١١ هـ بقرية "الفرخ"، وهي من بوادي مدينة سجلماسة، المعروفة اليوم بتَافِيلَالْت جنوب المملكة المغربية، نشأ في أسرة علم وفقه، فوالده وجده من فقهاء تلك البلاد.

قرأ القرآن على والده وحفظه وهو ابن اثنتي عشر سنة، ثم حفظ مختصر خليل، وقرأ علوم اللغة العربية والفقه المالكي، وطلب العلم على علماء وَجْدَة وفاس، إلى أن حصل على شهادة من جامع القرويين.

ثم سافر إلى القاهرة (١٣٤٠هـ) طلبًا للحديث، والاستزادة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالتقى بالشيخ عبدالظاهر أبي السمح إمام الحرم المكي، كما لقي الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الرمالي، والشيخ محمد حامد الفقي.

حضر دروس القسم العالي بالأزهر، ومكث بمصر سنة واحدة يدعو إلى عقيدة السلف، ويحارب الشرك والإلحاد، بعد أن كان صوفيًّا تيجانيًّا[١].

ثم سافر إلى مكة لأداء الحج، وبعدها ذهب إلى الهند لينال بغيته من علم الحديث، فالتقى علماء أجلاء هناك فأفاد واستفاد؛ وممن لقيهم: المحدث الشيخ عبدالرحمن المباركفوري، والشيخ محمد بن حسين الأنصاري اليماني.

وفي عام ١٣٤٣هـ توجه إلى العراق فالتقى بمدينة البصرة بالعالم السلفي المحدث المحقق محمد الأمين فال الخير الحسني الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير[٢]، فانتفع كثيرًا بمجالسته ومذاكراته، وأقام بالعراق ثلاث سنوات.

ثم سافر إلى السعودية وأعطاه السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله- توصية وتعريفًا إلى الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- قال فيها: "إن محمدًا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه"، فبقي في ضيافة الملك عبدالعزيز

---

[١] نسبة إلى التيجانية، وهي طريقة صوفية أسسها أحمد التيجاني. انظر "التيجانية" لعلي السويلم (ص ٤٨).

[٢] مدينة جنوب العراق تبعد نحو ١٧ كيلا عن البصرة. وانظر عن مدرسة النجاة: وثائق مدرسة النجاة الأهلية بمدينة الزبير للبابطين. ومذكرات محمد أمين الشنقطي.

بضعة أشهر إلى أن عين مراقبًا للتدريس في المسجد النبوي، وبقي بالمدينة سنتين، ثم نقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة، وأقام بها سنة واحدة.

وبعدها سافر إلى الهند بدعوة من الشيخ سليمان الندوي رجاء أن يحصل على دراسة جامعية، وصار رئيسَ أساتذةِ الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكنهؤ بالهند، حيث بقي ثلاث سنوات، تعلم فيها اللغة الإنجليزية، ولم تتيسر له الدراسة الجامعية بها. وأصدر مجلة "الضياء" باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة تلميذه الطالب مسعود عالم الندوي، ثم عاد إلى الزبير وأقام بها ثلاث سنين معلمًا بمدرسة "النجاة الأهلية"[1].

وكانت لدى الدكتور تقي الدين رغبة في إتمام دراسته الجامعية، فتوسط له الأمير شكيب أرسلان عند صديق له من الألمان، فعودلت شهادته الحاصل عليها من القيروان بالشهادة الثانوية، وبها التحق بجامعة بون الألمانية، فتعلم اللغة الألمانية في عام واحد، وعين محاضرًا في جامعة بون، كما شغل أثناء إقامته في ألمانيا وظيفة مشرفٍ ومراجع لغوي بالقسم العربي من الإذاعة الألمانية، ووجدها فرصة سانحة لفضح جرائم المحتلين لبلده المغرب من الفرنسيين والإنجليز، فأصدرت فرنسا قرارًا بنفيه نفيًا رسميًا من بلده المغرب، كما عملت بريطانيا على نزع جنسيته العراقية التي كان قد تجنس بها سنة ١٩٣٤م.

في سنة ١٩٤١م حصل على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم.

وأثناء الحرب العالمية الثانية سافر الشيخ إلى المغرب، وفي سنة ١٩٤٧م سافر إلى العراق وقام بالتدريس في كلية "الملكة عالية" ببغداد، إلى أن قام الانقلاب العسكري في العراق فغادرها إلى المغرب سنة ١٩٥٩م. وشرع أثناء إقامته بالمغرب، في الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك واتباع نهج خير القرون. وفي هذه السنة (سنة ١٩٥٩م) عين مدرسًا بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم بفرعها بفاس. وفي سنة ١٩٦٨م تلقى دعوة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– رئيسِ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك؛ للعمل أستاذًا بالجامعة منتدبًا من المغرب، فقبل الشيخ الهلالي، وبقي يعمل بها إلى سنة ١٩٧٤م، حيث ترك الجامعة، وعاد إلى مدينة مكناس بالمغرب ليتفرغ للدعوة إلى الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد، ويجول أنحاء

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ٧).

المغرب ينشر دعوة السلف الصالح، وكان من المواظبين على الكتابة في مجلة (الفتح) لمحب الدين الخطيب، ومجلة (المنار) لمحمد رشيد رضا رحم الله الجميع.

شيوخه:

للشيخ الهلالي شيوخ عدة في شتى البلاد التي سافر إليها، علاوة على علماء القرويين وعلماء الأزهر، ومن هؤلاء: الشيخ محمد العربي العلوي، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ المحدث عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، الشيخ الفاطمي الشرادي، والشيخ أحمد سكيرج، والشيخ محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليماني، الشيخ محمد أمين بن عبدي الشنقيطي (غير صاحب "أضواء البيان")، والشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي.

رجوعه إلى عقيدة أهل السنة:

كان الشيخ صوفيًّا على الطريقة التيجانية، ومنَّ الله عليه بأن تاب ورجع إلى عقيدة ومنهج السلف الصالح، قال رحمه الله: "قد فصلت القول في سبب خروجي من الطريقة التيجانية ودخولي في السلفية الحنيفية ملة إبراهيم وخير أبنائه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الإسلام الطاهر، شرحت ذلك في كتاب (الهدِيَّة الهادية إلى الطائفة التيجانية)"[1]. وقال أيضا: "لقد كنت في غمرة عظيمة وضلال مبين، وكنت أرى خروجي من الطريقة التيجانية كالخروج من الإسلام، ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة"[2].

وكان سبب خروجه من الطريقة التيجانية هو الشيخ محمد بن العربي العلوي رحمه الله، بعد مناظرة طويلة[3].

وكانت حياةُ الشيخ بعد توبته ورجوعه إلى عقيدة التوحيد واتباع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عامرةً بالحث على سلوك سبيل السلف الصالح، وكتبه مليئة بذلك، وقد ألف في ذلك كتابه (الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق) وذكر فيه أحاديث النهي عن البناء على القبور

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ٧).

[2] الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية (ص ١٢).

[3] المرجع السابق (ص ١٤) وما بعدها.

والعبادة عندها سدًّا للذريعة الموصلة إلى الشرك، مع أن الكثير من الناس في زمانه قد ابتلوا بعبادة الأولياء وشد الرحال إلى قبورهم والطواف حولها. وكان رحمه الله يجادل بعلم وحكمة لأنه جرب الشر وتاب منه، قال رحمه الله: "وكأني بعابد القبر يقول: يا هذا لقد أسرفت في القول، فهل يعبد مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبرًا؟ فأقول في الجواب: يمكن أن تغالط بهذا الكلام غيري، أما أنا فلا تستطيع أن تغالطني؛ لأنني أنا بنفسي كنت أعبد القبور فهداني الله إلى توحيده، وهدى بي خلقًا كثيرًا –ولله الحمد– وأزيدك على ذلك ما يخرصك ويلقمك حجرًا: أن الجهال في هذا الزمان من أهل البلاد الإسلامية –وما أكثرهم– يعبدون القبور والأنصاب بل والأشجار ويعبدون كل شيء حتى الحمير..."[1]

موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

وكان الشيخ الهلالي معجبًا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ناشرا لكتبه كما سيأتي، وكان ينوه بجهود المملكة العربية السعودية في نشر التوحيد ونبذ الشرك والبدع؛ لأنه عايش الفترة التي سبقت دخول الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكيف كان أهل مكة والمدينة وما حولهما أيام الملك حسين بن علي عندما حج أول حجة له عام (١٣٤١هـ)[2]. فلما ظهر التوحيد من جديد بنجد والحجاز أثنى على الملك عبدالعزيز وعلى وأبنائه رحمهم الله وعلى الشعب السعودي حيث قال رحمه الله: "فإن الشعب السعودي والمملكة السعودية بقيادة ملكها الإمام المصلح جلالة الملك فيصل والأئمة السابقين من أسلافه رحمهم الله لم يزالوا يحكمون شريعة الله، ويتخذون القرآن إماما والسنة سراجا، يضيئان لهم ظلمات الحياة الدنيا بانتشار الأمن على الأنفس والأموال والأعراض في بلادهم إلى حد لا يوجد له نظير في الدنيا، حتى إني لما كنت في ألمانيا قبل الحرب وقبل تقسيمها وهي في عنفوان قوتها، وحدثت الناس هناك بالأمن الذي يتمتع به سكان المملكة السعودية تفصيلا سألوني: أين يتخرج رجال شرطة هذه المملكة رؤساؤها؟ فقلت: يتخرجون في مدرسة القرآن في المسجد؛ فأبدوا شكهم فيما أخبرتهم به، وقالوا: لا يوجد في الدنيا أحسن من الشرطة الألمانية ومع ذلك لا يوجد عندنا مثل ما ذكرت من الأمن!

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ٧).

[2] المرجع السابق (ص ١٢٠).

وهذا الثواب المعجل في الدنيا يدل دلالة قطعية على أنّ الله الذي لا يخلف الميعاد سيثيب إمام هذه الدولة وأسلافه ورجال دولته وأعوانه المخلصين في الدار الدنيا، كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠-٣١](١).

كما أشاد بالقوة التي كانت تتمتع بها المملكة العربية السعودية في فترة لم تكن الدول الغربية تأبه بالدول العربية والإسلامية فيقول رحمه الله: " وأشهد بالله أني لما دعاني سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن إلى الحج سنة سبع وخمسين بتاريخ النصارى، وأظنه يوافق سنة ست وسبعين للهجرة، كنت راكبا في طائرة سويسرية من بغداد إلى الظهران، وكانت المضيفة من القسم المتكلم بالألمانية من سويسرا؛ فأخذت تدور على ركاب الطائرة، لما أرادت أن تدخل في سماء المملكة العربية السعودية وتقول لهم لا يطلب أحد منكم خمرا حتى نجتاز المملكة السعودية، ولا يجوز لأحد منكم أن يمسك زجاجة خمر ولو فارغة؛ فإنّ الحكومة السعودية تعاقبنا على ذلك، وتكلمت معي باللغة الألمانية لأنها عرفت من قبل أني أتكلم بها، وشرحت لي خوف قائد الطائرة وجميع الموظفين من رجال المملكة السعودية، وأنهم لا يتساهلون مع أي طائرة يجدون فيها شرابا مسكرا ظاهرا؛ قالت: فنحن نخبئ جميع الأشربة المسكرة حتى القوارير الفارغة إلى أن نخرج من هذه المملكة، فأخبرتها أني مسلم وأن عقيدتي والحمد لله مطابقة لهذا الحكم، وأنا أحمد الله على وجود مملكة في الدنيا تنفذ هذا الحكم.

ونحن نشاهد شريعة القرآن تنفذ على رؤوس الأشهاد، في هذه المملكة الفذة، فيقتل القاتل المتعمد، ويرجم من الزناة من يستحق الرجم، ويجلد من يستحق الجلد مع التغريب، وتقطع يد السارق، ويقام الحد على الشارب، ولا يحكم حاكم في جميع أرجائه إلاّ بشريعة القرآن، فكيف يستطيع مسلم أو منصف أن يسوي بينهما وبين من يحل ما حرم الله، ويحكم بغير ما أنزل الله"(٢).

مجالات دعوة الشيخ إلى التوحيد:

---

(١) التقدم والرجعية، من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (العدد االثاني- السنة الثانية- شوال ١٣٨٩هـ)

(٢) المرجع السابق.

تنوعت مجالات دعوة الشيخ نظرًا لسعة علمه وكثرة أسفاره وتعدد المناصب التي شغلها، ومن أهم المجالات التي برزت فيها جهوده الدعوية:

أولًا: مؤلفاته:

فللشيخ قلم سيَّال أثمر مؤلفات كثيرة في فنون شتى: في التفسير والحديث والعقيدة والفقه واللغة كما له ديوان شعر، فهذه المؤلفات تنم عن سعة اطلاعه وتنوع علومه، كما تكشف عن همته في الدفاع عن دين الله تعالى ومحاربة كل ما يخدش عقيدة المسلم، وسنسرد بعض مؤلفاته العقدية:

- الهدية الهادية للطائفة التيجانية (مطبوع)
- الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق (مطبوع)
- دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد على الملحدين (وهي أربعة وعشرون مقالة نشرت الأولى منها في العدد ٢٦ من مجلة دعوة الحق المغربية المؤسسة سنة ١٩٥٧م، وآخرها في العدد ٥٥)
- سبيل الرشاد في هدي خير العباد (مطبوع)
- العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور
- فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني
- آل البيت ما لهم وما عليهم (مقالة)
- الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام
- البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبريء من الألوهية (مطبوع).
- بيان الفجر الصادق
- القاضي العدل في حكم البناء على القبور
- قصيدة في أسماء الله الحسنى (مطبوعة)
- مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل

• حاشية على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهّاب (طبع)

• حاشية على كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهّاب، ولهذه الحاشية والتي قبلها قصة عجيبة في اختيار عنوانهما، وسأذكرها لاحقًا (طبع)

ثانيا: رسائله إلى علماء المسلمين ودعاتهم[1]، وبعض الرسائل إلى الملوك والزعماء والرؤساء، والأمراء، والوجهاء، كما راسل بعض تلاميذه وبعض زعماء الإصلاح ورجال الصحافة والإعلام ثم مراسلاته إلى أعدائه ومخالفيه في أمصار عدة إضافة إلى مدن داخل المغرب: كالمملكة العربية السعودية ومصر والهند وباكستان وأوربا وأمريكا. وهذه الرسائل مفيدة في معرفة مدى سعة علاقاته، وفي كثير منها تدوين لبعض آرائه في مسائل إصلاحية، وقضايا فقهية، واجتهادات لغوية، واستنباطات شرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع معرفة دقيقة بواقع ما يجري للمسلمين.

ثالثا: كثرة أسفاره وتنقله في البلاد

للشيخ الهلالي جهود في تعليم الناس التوحيد وعقيدة السلف الصالح حيث سافر إلى بلاد كثيرة، وسأقتصر على أهمها والتي كانت له فيها جهود واضحة:

١) جهوده في المغرب:

كانت للشيخ همة عالية في دعوة الناس إلى التوحيد والترفع عن الخرافات والبدع والشركيات، في مدن شتى في المغرب منذ فترة الاستعمار الغاشم (الإسباني والفرنسي). ويتحدث الشيخ عن هذه الفترة حين كان يلقي الدروس في المسجد الجامع (بمدينة تطوان المغربية) كل أسبوع، فأقبل الناس علماؤهم وعامتهم على دروسه إقبالًا عظيمًا مع أن أغلب علمائهم كانوا معادين ومحاربين للتوحيد واتباع السنة أشد المحاربة، وهددوه بأن يعينوا لجنتين لمناظرته في الأصول والفروع فلم يعبأ بهم الشيخ وأخذ يحطم أصنامهم في دروسه بطريقة علمية وبحكمة وموعظة حسنة، مستخدما ما وهبه الله من فطنة وذكاء، واجتهد في نشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة، حيث كان المصلون لا يضعون اليمنى على اليسرى في الصلاة، وإنما يعتقدون

---

[1] جمعها مشهور حسن آل سلمان وطبعها في أربع مجلدات بعنوان: "رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء، مؤسسة دار لطائف.

أن الصواب هو سدل اليدين وإرسالهما، كما أنهم لا يجهرون بالتأمين خلف الإمام في الجهرية، وبعد حضور حلقات الشيخ ومجالسته بدأ الناس يعرفون السنن وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وما لم يثبت. يقول رحمه الله: ولما بدأت دروسي في الجامع الكبير لم يكن أحد يضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة أعظم شعار للمتبعين للسنة، فبدأ العوام يعملون بهذه السنة وغيرها. وكان الناس يتعجبون من العاملين بها ولكن باستمرار الدروس بضع سنين كثر المتبعون للسنة في هذا المسجد حتى صار الناس إذا رأوا رجلًا سادلًا يديه في الصلاة لا يرفع عند الركوع ولا عند الرفع منه ولا يجهر بالتأمين يتعجبون منه.

والذي يتتبع كلام الشيخ وسرده لطريقته في الدعوة إلى الله تعالى يتبين له جليًّا الحكمة التي كان يتحلى بها في أسلوبه الدعوي، ممتثلًا قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، سالكا بذلك سبيل النبي ﷺ طمعًا فيما وعد به بقوله عليه الصلاة وسلام: «لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[١]. ومما يشهد لهذا ما حكاه عن نفسه قائلا: "فعزمت أن أدعو إلى توحيد الله واتباع السنة دون أن أتعرض للشيخ أحمد[٢] بطعن أو بتزكية من الوجهة الشخصية"[٣].

وقد كان الشيخ الهلالي –رحمه الله– فطنًا ذكيًّا في نشر عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك والبدع، ومن أمثلة ذلك ما جنح إليه في نشر حاشيته على كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، يحكيها الشيخ بنفسه قائلا: "وضعت حاشية على كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وطبعتها ونشرتها، ولكني استعملت في ذكر اسمه ما يسمى في مصطلح الحديث بتدليس الشيوخ، وهو جائز بل

---

[١] متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا. البخاري (٢٩٤٢)، وسلم (٢٤٠٦).

[٢] يعني أحمد بن الصديق الغماري (ت ١٣٨٠ هـ)، كان صوفي المنزع، شاذلي المشرب، خلَف أباه على الطريقة الصديقية، وهو أخو عبدالله ومحمد الزمزمي وعبدالعزيز وعبدالحي. ينظر "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع"، لابن سودة (٢/٥٧٤)، و"سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصديق"، سيرة ذاتية (ص ٥٥).

[٣] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص٣٣).

مستحسن إذا أريد به الإصلاح... وقد سميت الشيخ محمد بن عبدالوهاب محمد بن سليمان الدرعي فنسبته إلى جدِّهِ ثم نسبته إلى الدرعية، وذلك حق، فهي بلدته ولكن لم يشتهر بذلك، وزاد الأمر غموضًا أن في المغرب كورة تسمى (درعة) والنسبة إليها درعي، فنجحت فيما قصدته من ترويج الكتاب، فقد طبعت ألف نسخة فبيعت في وقت قصير، ولم يتفطن أحد لذلك حتى الشيخ أحمد بن الصديق مع سعة اطلاعه، وعلو همته في البحث، وكثرة ما في خزائنه من الكتب بقي في حيرة؛ لأنه بحث في تاريخ المنسوبين إلى درعة فلم يجد أحدًا منهم بذلك ولا أُثِر عنه هذا الكتاب، فبعث إليَّ يسألني عن هذا المؤلف من هو فأخبرته بالحقيقة. ولما اطلع العالم الأجل مفتي المملكة العربية السعودية وشيخ شيوخها محمد بن إبراهيم –رحمة الله عليه– على هذا العمل استحسنه كل الاستحسان. وإنما فعلت ذلك لأن المتأخرين من رجال الدولة العثمانية حرضوا شرار العلماء في جميع البلاد الإسلامية على تشويه سمعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذبوا عليه، وأوهموا أتباعهم أنه جاء بدين جديد، وأنه يتنقص جانب النبي الكريم ويكفر المسلمين، إلى غير ذلك من الأكاذيب. وقد تبين لأكثر الناس بطلان تلك الدعوى وعلموا علم اليقين أن محمد بن عبدالوهاب من كبار المصلحين الذين فتح الله بدعوتهم عيونا عميا وآذانًا صمًّا، وأنه أحيا العمل بكتاب الله وسنة رسوله في جزيرة العرب بعدما كاد يندثر.

...ولما طبع هذا الكتاب غضب عباد القبور وأصحاب الطرائق وخطب كثير من أئمة المساجد خطبة الجمعة ونبهوا المستمعين إلى ما في هذا الكتاب من لضلال بزعمهم، لأن توحيد الله عندهم أعظم الضلال ولكن لم يستمع لهم أحد"[1].

وقال أيضا: "ثم طبعت رسالة زيارة القبور مع حواشي قليلة لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية وسميته أحمد بن عبدالحليم الحراني، ولم أذكر لفظ ابن تيمية للعلة السابقة الذكر، فراح الكتاب وانتشر ونفع الله به المسلمين، ولما بعثت من كل من الكتابين نسخة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم –رحمة الله عليه– فرح بنشرهما واستحسن الطريقة التي سلكتها لبعد نظره ووفور عقله وحكمته"[2].

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ٤٧– ٤٨).

[2] المصدر السابق (ص ٤٨).

والشيخ الهلالي كان قويا في قول الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، يقول رحمه الله: "وقلت في أحد الرؤساء من أهل المغرب كان يحارب توحيد الله واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وغره منصبه فأخذ يبعث الجواسيس ليحضروا دروسي وجمعني معه مجلس فأراد أن يوبخني ويهددني فأغلظت له القول ولم أعبأ بتهديده فكاد لي ولجماعتي السلفيين الذين معي كيدا عظيما فرد الله كيده في نحره كما جاء في القصيدة. وكم حاول أعداء السنة إطفاء نور الله تعالى فأحبط الله أعمالهم وتفضل بالنصر على أنصار توحيد الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فله الحمد والشكر ونسأله أن يجعلنا منهم ويحيينا ويميتنا على الحنفية ملة إبراهيم والحمد لله رب العالمين"[1].

٢) جهوده في مصر:

تعرض الشيخ أثناء غربته في مصر لابتلاءات ثبته الله تعالى فيها على التمسك بالحق رغم تجييش الجيوش التيجانية ضده، يقول رحمه الله تعالى بعد ذكر ما تعرض له من امتحان: "فعلمت أن القضية قد انتهت بالإخفاق كما كنت أتوقع وعقدت العزم على أن لا أداهن ولا أداجي[2] في دين الله ما دمت حيًّا بل أقول الحق من أول وهلة، للربح أو للخسارة، وما لقيت إلا الربح إلى حد الآن".

ومما يحسن ذكره هنا ما حصل للشيخ عبد الظاهر أبي السمح مع الصوفية وعباد القبور بالإسكندرية من الضرب والإذاية، فأمر محافظ الإسكندرية بمنعه من الصلاة والوعظ وسد المسجد، فأرسل الشيخ أبو السمح إلى الشيخ الهلالي يدعوه دعوة عاجلة، فحضر في الليلة التي سيغلق فيها المسجد، ففتحه وأخذ يصلي فيه ويعظ السلفيين، مما جعل المحافظ يغير رأيه ويأمر بترك المسجد وعد إغلاقه.

وفي صعيد مصر فتح الله قلوب العباد حيث جلس في مجلسه خلق كثير، وكان في مقدمتهم شيخ البلد الذي طرح عليه أسئلة في التوسل بالأولياء وشد الرحال إلى زيارة قبور الصلحين والذبح والنذر وأوراد الطريقة والاستمداد من الشيوخ والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه

---

[1] مقدمة قصيدة "أتوعِد سنات الرسول بمَحوها".

[2] والمُداجاةُ المُداراةُ، وداجَيْتُه أَي داريته. لسان العرب (٢٤٩/١٤).

وسلم وما إلى ذلك، والشيخ في ذلك كله يجيبه بحلم وأناة وصبر وهبنه الله تعالى له لم يعهده في نفسه قبل ذلك، كما يقول رحمه الله[1].

٣) جهوده في العراق:

عندما دخل الشيخ الهلالي للعراق سنة ١٩٤٧م ابتلي فيها ابتلاء لم يثنه عن مواصلة الدعوة إلى توحيد الله تعالى فجلس فيها سبعة أشهر يعلم الناس الخير، ثم انتقل إلى بغداد وبدأ الدعوة فيها، يقول رحمه الله: "وقد كانت –يعني بغداد– من قواعد الدعوة السلفية إلى زمان السيد محمد شكري الألوسي رحمة الله عليه، أما أنا فلم أجد من السلفيين إلا الشيخ عبدالكريم الصاعقة، وكان إمام مسجد صغير وقد حاربه المتعصبون من المقلدين فلم يكن يصلي في مسجده إلا بضعة أشخاص، ولكنه كانت له خزانة عظيمة من كتب السنة وكان متمسكًا بالعقيدة السلفية راسخ القدم لا يتزحزح عنها"[2].

وفي بغداد عُرض على الشيخ أن يلقي دروسًا في المسجد مقابل مبلغ مالي فقال –رحمه الله– لصاحب العرض: "أنا لا آخذ شيئا على الوعظ؛ لأنه فرض فرضه الله عليَّ؛ لأنه من الجهاد، والجهاد واجب بالنفس والمال"[3]. كما ظهر منه الورع والتواضع وهو بمكة حيث قال: "ولما فارقني الشيخ مصطفى آل إبراهيم سلم لي مقدارًا كبيرًا من الدراهم، وقال لي: وزعه على العلماء وطلبة العلم السلفيين، فقلت في نفسي: أنا وأخي من طلبة العلم السلفيين، أفلا يجوز لي أن آخذ لي ولأخي نصيبًا من هذا المال؟ ثم قلت لنفسي: إن المتبرع بهذا المال يعرفك ويعرف أخاك ويعلم أنكما محتاجن، فلو أراد أن يجعل لكما نصيبًا منه لصرح بذلك، فالاحتياط والأخذ بالعزيمة يقتضي بتوزيع المال كله، وأن لا تأخذ لنفسك ولا لأخيك منه شيئًا، فوزعته كله ولم آخذ شيئًا. فالشيخ الهلالي رحمه الله نذر نفسه لله تعالى صابرًا محتسبًا، وهذا من أسرار انتشار جهوده وآثاره الدعوية في البلاد التي دخلها. يقول الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياته: "ووجدت في الزبير أثرًا للأستاذ تقي الدين الهلالي –مَدَّ الله في عمره– وبقايا من تلاميذه"[4].

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ١٦).

[2] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ١٠٩).

[3] المصدر السابق.

[4] ذكريات علي الطنطاوي (٤/٤٦).

والشيخ الهلالي -رحمه الله- كان يتمتع برجاحة العقل وقوة مناظرته لخصمه، ومما يدل على ذلك ما حصل له ببغداد بعد ما انتشر الجهل بعقيدة التوحيد، حتى لا تكاد تجد من يدين بعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، وعظم التعصب لمذهب أبي حنيفة -رحمه الله- وبلغ أن صار الولاء والبراء عليه. ومع هذه الظروف والأحوال التي انتشرت ما كان من الشيخ الهلالي إلا أن يعلن المنهج الصحيح والعقيدة الصافية التي كان عليها سلف هذه الأمة، ودونك أيها القارئ ما كان يردد -رحمه الله- في دروسه قائلا: "إنكم تكذبون على أبي حنيفة -رحمه الله- وأنا أتبعه حقًّا وصدقًا، فإن أبا حنيفة كان على عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين كان يصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ويثبت العلو لله تعالى ويكفر من يتأول الاستواء بالاستيلاء كما في الفقه الأكبر وفي الطحاوية وشرحها، وأنتم تعتقدون عقائد المتأخرين من الأشعرية نفاة الصفات وأبو حنيفة يكفر النفاة ثم تتعصبون في إلزام الناس بفروع الحنفية وهذا خلاف ما كان عليه أبو حنيفة -رحمه الله- فقد صح أنه قال: لا يجوز لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه. أي: حتى يعرف دليله، وأنتم تقولون على الله بلا علم، بل بالتقليد الأعمى، ولعمر الله ليس هذا مذهب أبي حنيفة".

ومما يدل على مخالفتكم لمذهبه أن صاحبيه محمدًا وأبا يوسف خالفاه في ثلث المذهب، وقال بعضهم في ثلثي المذهب، ولو كان أبو حنيفة يعلم أصحابه أن يكونوا مقلدين لما خالفه أقرب الناس إليه وأفضل تلامذته الذين نشروا مذهبه. وهذه القبة التي بنيتم على قبره، هل أباح لكم أبو حنيفة أن تبنوها؟! وهذا المسجد الذي بنيتم إلى جانبها، هل أباح لكم أبو حنيفة أن تبنوا المساجد على القبور وتصلوا فيها؟! وهذه البدع التي ترتكبونها، هل رويتموها عن أبي حنيفة؟!"[1].

وبعد أن انتقل الشيخ لجامع الدهان إمامًا وخطيبًا وجد به بدعًا كغيره من مساجد بغداد: كقراءة القرآن بالتناوب في مكان مرتفع مخصص للقارئين، وصلاة ركعتين بعد الأذان الأول يوم الجمعة، ورفع المؤذن صوته بعد الصلاة بأذكار مخصوصة، وغيرهما من البدع. فعزم الشيخ على إماتة هذه البدع فاستعان بالله وتعاون مع تلامذته حتى تمكن من ذلك بفضل الله وتوفيقه.

---

[1] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ١٠٩ - ١١٠).

يقول رحمه الله: "استعنت بالله وحده أنا وتلامذتي وأخذنا نزيل تلك البدع واحدة بعد واحدة حتى قضينا عليها ولله الحمد، وكان الحاج عبد الحميد لا يتأخر عن مساعدتنا في ذلك. فبدأنا بإزالة القراءة ثم إزالة ما كان يترنم به فألفت كتابًا سميته (الأنوار المتبعة في سنة الجمعة) وأقمت فيه البرهان على أن صلاة الجمعة ليست لها سنة قبلية وإنما سنة بعدية ونقلت كلامًا لأبي شامة في كتاب البدع له وكلام غيره، فلما عرف الناس ذلك بقراءة ذلك الكتاب وبخطب الجمعة المتوالية وكانت كلها من صميم السنة خطبًا تعليمية إرشادية اتفقت مع تلامذتي ومع الحاج عبد الحميد الدهان على إزالة الأذان الأول وبإزالته تزول الركعتان، فأنذرت الحاضرين في المسجد في خطبة الجمعة الأخيرة وقلت لهم: لقد علمتم فيما مضى من خطب الجمعة أن النبي ﷺ لم يكن له إلا مؤذن واحد يؤذن أذانًا واحدًا عند جلوسه على المنبر حتى إذا فرغ المؤذن منم أذانه قام النبي ﷺ خطيبًا ولم يقم أحد لصلاة ركعتين، إلا من تأخر حتى شرع الخطيب في الخطبة، فهذا يصلي ركعتين خفيفتين تحية المسجد كما بينته لكم مرارًا وتكرارًا بالأحاديث الصحيحة، وقد عزمنا على ترك الأذان الأول، وبطبيعة الحال تترك الركعتان المترتبتان عليه، فمن شرح الله صدره لقبول الحق فأهلًا وسهلًا به وهنيئًا له، ومن أبى فالمساجد كثيرة، فلما كانت الجمعة التالية دخلت المسجد وذهبت رأسًا، فصعدت المنبر وجلست عليه، فقام أحد تلامذتي وأذن، ثم قمت أنا وخطبت فجعلناهم أمام الأمر الواقع، وانقطع بذلك ما بقي من المخالفات ولله الحمد"[١].

كما سافر الشيخ الهلالي إلى الهند[٢]، ودول أوربية[٣]، وبلاد (إسكمو) التي تمكث فيها الشمس شهورًا لا تغرب، حيث كتب في ذلك بحثًا عنونه بـ: "الشمس في نصف الليل"[٤].

رابعًا: الخطب والدروس

---

[١] الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص ١٠٩).

[٢] ينظر مقال "الدين والسنن الكونية" نشر بمجلة الجامعة الإسلامية، السنة الرابعة - العدد ٣، محرم ١٣٩٢هـ

[٣] ينظر مقال "الإسلام والمذاهب الاشتراكية" نشر بمجلة الجامعة الإسلامية، السنة الثالثة - العدد الثاني - ١٣٩٠هـ

[٤] نشر بمجلة الجامعة الإسلامية، السنة الثانية - العدد ٣، محرم ١٣٩٠ هـ

عُرض على الشيخ أن يكون إمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي فاعتذر واختار أن يكون مراقبًا للمدرسين ومدرسًا بالمسجد النبوي، وكان يحضر دروسه جم غفير، فمكث بالمدينة سنتين، ثم انتقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة، ومكث بها سنةً.

كما خطب بجامع الدهان وهو بين بغداد والأعظمية[1].

خامسا: المناظرات

لم يكن الشيخ الهلالي يحب المناظرة ويرى أنها تعتريها المشاغبة ثم المضاربة فلا تحق حقا ولا تبطل باطلًا لكنه إذا اضطر إليها فهو فارس ميدانه، قال رحمه الله: ومن رأيي أني أبعد عن هذه المناظرة وأتجنبها، فإذا اضطررت إليها استعنت بالله وخضت غمارها[2]. كما ظهرت لباقة الشيخ وفطنته في المناظرة والمحاورة عند كلامه مع أحد أستاذة الأزهر عندما استوقفه وهو يلقي درسًا حول التلمود واللغة العبرانية فلم يرد الشيخ الهلالي أن يحرجه أمام الطلبة والزائرين واكتفى ببيان الصواب دون تخطئة المعترض[3].

وفاته رحمه الله:

تُوفي الشيخ محمد تقي الدين الهلالي، في الدار البيضاء بالمغرب، في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ شوال، عام ١٤٠٧هـ فرحمه الله، رحمةً واسعةً وضاعف له الحسنات.

الخاتمة:

هذه ورقات مشرقة من جهود الشيخ الهلالي في إظهار التوحيد ونشر العقيدة الصحيحة والتحذير من البدع والشركيات، يُعلم الناس ما علمه الله تعالى، وينقذهم من الضلال، كما أنقذه الله ومنَّ عليه بعقيدة السلف الصالح بعد ما كان يتخبط في دياجير البدع والخرافات، وقد اقتصرنا على اليسير من أخبار الشيخ ومواقفه بما يتناسب مع المقام، حاولنا إبراز بعض جهود هذا العَلم؛ كي يكون حافزًا للدعاة إلى الله تعالى لمواصلة السير في الدعوة إلى التوحيد وتصحيح العبادة، فالظروف التي مرّ بها الشيخ أصعب وأعسر، وقد تيسرت بحمد الله وسائل

---

[1] المصدر السابق (ص ١٥٣).

[2] المصدر السابق (ص ٢٨).

[3] حديث مع زائر كريم (ص ٣).

الدعوة وكثر الخير في الأمة وقرب البعيد... ولن تُعدم الأمة خيرًا ما دام فيها من يحمل الهم ويواصل المسير، وسيبعث الله أمثال هؤلاء العلماء لحمل الرسالة وتبليغ الدين.